شظايا الزمن // سالي بار
قَيِّمة: نيتسا كوهن مور

في عشرينيات القرن العشرين نشأت في العالم حركة سياسية وثقافية وفنية باسم السريالية. في أعقاب فظائع الحرب العالمية الثانية وخيبة الأمل من العقلانية الإنسانية، وإلى جانب أبحاث فرويد في النفس واللاوعي، دعا السرياليون إلى الإبداع والتفكير الآتيَين من خارج المنطق، من اللاوعي، من عالم الحلم، من النفس. تأثرت فنانات سرياليات مثل ليونورا كارينغتون وريميديوس فارو بالثقافات الوثنية ما قبل العقلانية في أعمالهن، بينما طوّر آخرون مثل خوان ميرو وأندريه ماسون وغيرهما "الأوتوماتيكية السريالية"، التي تتيح فيها الفنانة أو الفنان تدفقًا حرًّا للاوعي في عملها. كما جلب الفنانون السرياليون إلى العالم تقنيات إبداعية جديدة، من بينها الكولاج والتجميع (الأسمبلاج).

جذور سالي بار تعود إلى أفريقيا. وُلدت ونشأت في زيمبابوي لوالدين يهوديين صهيونيين من أصول أوروبية، وقد أحاطها سحر القارة وثقافتها المحلية. إثر حادث سير خطير تعرضت له والدتها عندما كانت في الثانية من عمرها، تربّت بار بشكل أساسي على يد مربيات أفريقيات، وتأثيرهن واضح حتى اليوم في أعمالها. لطالما عاشت بشعور أن الرسم والإبداع ينبعان من داخلها، وكانا بالنسبة لها ملاذًا وأيضًا تعبيرًا عن ثراء الحياة. درست الفن في جنوب أفريقيا، وفي سن الثالثة والعشرين هاجرت إلى إسرائيل.

معرض "رسيسي زمان" (شظايا من الزمن) هو خارطة لنفسية امرأة، نفسية بار، من دون وساطة المنطق، ويتردد فيه صدى ممارسات السرياليين. إنها لوحات كولاجية تجريدية تفتح نافذة على ما يجول بداخلها. عملها الحدسي يذكّر بتسلسل فكري يمكنها العودة إليه بين الحين والآخر. تعمل على عدة أعمال بالتوازي وعلى مدى أسابيع. تبدأ أولًا بطلاء القماش، غالبًا باللون الأصفر، وكأنها تضع ضوءًا في قاعدة اللوحة. من هناك تنتقل إلى البرتقالي أو الوردي ثم إلى الأزرق. أولًا الألوان الدافئة التي تذكّر بنواة الكرة الأرضية، ومن ثم إلى الطبقات الخارجية المتغيرة بحسب حالتها النفسية. توضع طبقات الألوان بينما الطبقة التي تسبقها لا تزال رطبة، فتتقاطر الألوان وتكتسب حياة خاصة بها. أخيرًا، تضيف سالي اللون الأسود، وكأنها تبحث عن الفراغ، عن البيت الذي يمكن الدخول إليه، عن الإطار. وحين يتشكل ذلك البيت، تملأ الفراغات بشظايا من الذاكرة، من الماضي البعيد والقريب، بقطع من لوحاتها القديمة. إنها تبحث عن نظام، نظام خاص وشخصي بها. تجمع شظايا الذاكرة، شظايا الزمن، وتجد لها المكان الآمن الذي تستقر فيه.

عند بار، كل اللحظات موجودة بالتوازي داخل الزمن، ولا تخضع لحركته الخطية. هي تجمع بينها وتجعل كل لحظة قائمة في الماضي والحاضر معًا. وبصفتها سيدة الزمن النفسي، تمنح مكانًا لإيقاع نفسيتها الذي لا يوجد بمعزل. إنها تنتج صورًا نفسية، صورًا لنفسيتها هي، تتعرف من خلالها على الإيقاع الداخلي، الحركة المتكررة ذهابًا وإيابًا، وتعقيد وجودها. تلك الطفلة التي عاشت إلى جانب مناجم أبيها في زيمبابوي البعيدة، إلى جانب المرأة التي هي عليها اليوم، حاضرتان بالقدر نفسه من الوضوح، وتطلبان مكانهما بالتوازي.

في هذا المعرض تدعونا بار، في أيام تكون فيها الحقيقة معقدة ومليئة بالتحديات، إلى النظر إلى الداخل والتأمل في نفوسنا، في أصواتنا الداخلية التي تتجاوز العقل، ومن خلال ذلك إعادة خلق العالم من حولنا أيضًا.